الرسالة

(أعمال الرسل ٢: ١–١١)

لمَّا حلَّ يومُ الخمسين كان الرسلُ كلُّهم معاً في مكانٍ واحد* فحدث بغتةً صوتٌ من السماءِ كصوتِ ريحٍ شديدةٍ تَعصِفُ وملأَ كلَّ البيت الذي كانوا جالسينَ فيه* وظهرت لهم ألسِنةٌ متقسِّمةٌ كأَنَّها من نارٍ فاستقرَّت على كلِّ واحدٍ منهم* فامتلأوا كلُّهم من الروحِ القدسِ وطفِقوا يتكلَّمون بلُغاتٍ أخرى كما أعطاهم الروحُ أن ينطِقوا* وكان في أورشليمَ رجالٌ يهودٌ أتقياءُ من كلِّ أمَّةٍ تحت السماءِ* فلمَّا صار هذا الصوتُ اجتمع الجمهورُ فتحيَّروا لأنَّ كلَّ واحدٍ كان يسمعُهم ينطِقون بلغتِه* فدُهِشوا جميعُهم وتعجَّبوا قائلِينَ بعضُهم لبعضٍ أليس هؤلاءِ المتكلِّمونَ كلُّهم جليليين* فكيف نسمعُ كلٌّ منَّا لغته التي وُلد فيها* نحن الفرتيين والماديينَ والعيلاميينَ وسكَّان ما بين النهرين واليهودية وكبادوكية

«إن عَطشَ أحدٌ فَليُقبِل إلي»

العيد المُشار إليه في مطلع النص الإنجيلي لهذا اليوم (يو ٧: ٣٧–٥٢)، هو «عيد المظال» الذي كان يمتد على سبعة أيام يليها «اليوم الأخير العظيم». في السبعة الأيام الأولى كان اليهود يتركون بيوتهم ليعيشوا في خِيَم (مظال) مصنوعة من غصون الأشجار، مستذكرين الأربعين سنة التي عاشوها تائهين في البرية، بين الخروج من مصر والدخول إلى أرض الميعاد. أما في اليوم الثامن المُسَمى «الأخير العظيم»، والذي له نفس المَكانة التي للسبت، فكانوا يرجعون إلى بيوتهم مستذكرين يوم الوصول إلى أرض الميعاد. أما لجهة طقوسيات العيد، ففي كل يوم من الأيام السبعة يخرج رئيس الكهنة بما يشبه الزياح الإحتفالي إلى بركة سلوام حاملًا جرة ذهبية، يملأها من ماء البركة. وأثناء ذبيحة الصباح يسكب الماء على المذبح النحاسي بينما هو ومعاونوه يسبّحون بترانيم من سفر إشعياء النبي ومن المزامير. هذا بالإضافة إلى تلاوتهم قراءات من أسفار الخروج والعدد وتثنية الإشتراع والمزامير، تروي كيف أن الله أخرج لهم من الصخر ماء ليشربوا. هذا ما يرمز إليه طقس حمل الماء وصبّه على المذبح. أما في اليوم الثامن، الذي تنطبق عليه مراسم السبت كما أشرنا أعلاه، فتتوقف هذه العملية إذ إنه في السبت لا يجوز العمل.

العدد ٢٣ / ٢٠١٧

الأحد ٤ حزيران

أحد العنصرة

تذكار أبينا الجليل في القديسين

مطروفانس القسطنطيني

للماء في الكتاب الإلهي ثلاثة معانٍ أساسية. في البداية هو ينبوع الحياة وقوّتها على ما في سفر إشعياء (٣٠: ٢٣–٢٥) والأرض من دونه قاحلة ليس فيها إلا الجوع والعَطَش، لا يحيا فيها إنسان ولا نبات ولا حيوان (حزقيال ٣١: ١٥). الماء أيضاً يميت إذا فاض مدمِّراً، جارفاً الأرض مُبتَلِعاً مَن عليها (أيوب ١٢: ٥). ثالثاً هناك معنى التطهير، حيث في العبادات الطقسية يغسل الماءُ البشر والأشياء من الدنس في رمزية تشير إلى التنقية من دنس الخطيئة. «إغسلني كثيراً من إثمي ومن

خطيئتي طهّرني»، يقول مزمور التوبة (مز ٥٠). الماء إذاً يأتي تارة محيياً وتارة مرعباً، لكنه في كل الحالات للتطهير (حزقيال ١٦: ٩)، وهو في كل الحالات من عند الله لا من عند الناس.

هذا وفي تطلّع شعب الله إلى التجديد والخلاص النهائي، للماء معناه الرمزي أيضاً. الماء الذي يراه النبي حزقيال خارجاً من جوانب الهيكل، وعلى جوانبه «كل شجر للأكل، لا يذبل ورقه ولا ينقطع ثمره» (٤٧: ١٢)، هو رمز لقدرة الله المحيية التي سوف تعمّ في الأزمنة الأخيرة على الذين آمنوا فيأتون بالثمار الكاملة. الماء يرمز أيضاً إلى روح الله القادر أن يحوّل صحراء جرداء ميتة إلى بستان خضرة حي، أي القلوب الجاحدة إلى قلوب تلهج بالله وتحيا به، كما عند أشعياء: «هكذا يقول الرب... لا تَخَفْ يا عبدي يعقوب... لأني أسكب ماءً على العطشان وسيولاً على اليابسة. أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك فينبُتون بين العشب مثل الصفصاف على مجاري المياه» (٤٤: ٢–٤). أما خلاصة رمزيات الماء في العهد القديم فهي أن الله هو ينبوع الحياة للإنسان، ومن دون الله نحن أرض قاحلة، لا ماء فيها إذاً لا حياة. أكثر من ذلك، من كان مع الله يصبح حاوياً في ذاته الينبوع الذي يحييه ويفيض منه على كثيرين.

في العهد الجديد تجسَّد المسيح ليحمل للبشر هذا الماء المحيي، الذي وعد به الأنبياء القدامى، إذ هو الصخرة التي يحكي عنها سفر الخروج (١٧: ٦)، الذي لما طُعن بالحربة على الصليب أنبع من جنبه المياه التي تروي إسرائيل الجديد السائر إلى أرض الميعاد الحقيقية. المسيح هو أيضاً الهيكل الذي منه ينبع النهر ليحيي أورشليم الجديدة، الكنيسة، في حالتيها المجاهدة (في هذا الدهر) والظافرة (في الدهر الآتي). في إنجيل البشير يوحنا الماء هو تعاليم المسيح المحيية، وهو الحكمة المتجسدة، على ما في حواره مع السامرية عند بئر يعقوب. هذا وسوف يكون الماء الحي، عند انقضاء هذا الدهر، رمزاً للسعادة الأبدية التي سوف تكون للمختارين، «لأَنَّ الْخَرُوف الذي في وسط العرش يرعاهم، ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤيا ٧: ١٧).

اليوم، وفي حياة الكنيسة التي ينبوع حياتها المسيح، تجد رمزية الماء معناها الكامل في المعمودية المقدّسة. كما كان يوحنا يعمّد من أجل التوبة، في نهر الأردن الذي طهّرت مياهه الأبرص قديماً (٢ ملوك ٥: ١٤)، يتطهّر النازل في جرن المعمودية ــ الأردن الجديد ــ من برص خطيئته ويخرج منه مولوداً من جديد. إذذاك يصبح جاهزاً لاقتبال الروح القدس ــ بِختم الميرون المقدّس ــ ولاقتبال قوة الكلمة بالإنجيل وفاعلية الفداء بالقدسات الطاهرة. ماء المعمودية المطهِّر إذاً يرسي الأساس لحياة جديدة، يملأها وينمّيها ويكمّلها المسيح.

الرب يسوع لم يُخاطب الناس في سياق طقوسيات العيد بل تحديداً في «اليوم الأخير العظيم»، اليوم الذي هو ذُروة العيد وتذكار الخلاص، اليوم الذي يتوقف فيه كل شيء، ذلك أن ما يعيّدون له رمزياً وجد ذروته وملأه في المسيح، وبُنطُسَ وآسِيَةَ* وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية عند القيْروان والرومانيين المستوطنين* واليهودَ والدخلاء والكريتيين والعرب نسمعهم ينطِقون بألسنِتنا بعظائِم الله.

الإنجيل

(يوحنا ٧: ٣٧–٥٢)

في اليوم الآخر العظيم من العيد كان يسوعُ واقفاً فصاح قائلاً إن عطِشَ أحدٌ فليأتِ إليَّ ويشرَب* مَن آمن بي فكما قال الكتابُ ستجري من بطنه أنهارُ ماءٍ حيٍّ* (إنَّما قال هذا عن الروحِ الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه إذ لم يكنِ الروحُ القدسُ بعدُ. لأنَّ يسوعَ لم يكن بعدُ قد مُجِّدَ)* فكثيرون من الجمعِ لمَّا سمعوا كلامَهُ قالوا هذا بالحقيقةِ هو النبيُّ. وقال آخرون هذا هو المسيح* وآخرون قالوا ألعلَّ المسيحَ من الجليل يأتي* ألم يقل الكتابُ إنَّه من نسلِ داودَ من بيتَ لحمَ القريةِ حيث كان داودُ يأتي المسيحُ* فحدث شقاقٌ بين الجمع من أجلِه* وكان قومٌ منهم يريدون أن يُمسِكوهُ ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه يداً* فجاء الخُدَّامُ إلى رؤساءِ الكهنةِ والفريسيين فقال هؤلاء لهم لِمَ لم تأتوا به* فأجاب

الخدَّامُ لم يتكلَّم قطُّ إنسانٌ هكذا مثل هذا الإنسان* فأجابهم الفريسيون ألعلَّكم أنتم أيضاً قد ضَلَلْتُم* هل أحدٌ من الرؤساءِ أو من الفريسيين آمن به* أمَّا هؤلاء الجمعُ الذين لا يعرفون الناموسَ فهم ملعونون* فقال لهم نيقوديُمس الذي كان قد جاء إليه ليلًا وهو واحدٌ منهم* ألعلَّ ناموسَنا يدينُ إنساناً إن لم يسمع منه أولاً ويعلَم ما فعل* أجابوا وقالوا له ألعلَّكَ أنت أيضاً من الجليل. إبحث وانظر إنَّه لم يَقُم نبيٌّ من الجليل* ثم كلَّمهم أيضاً يسوعُ قائلاً أنا هو نورُ العالَم مَن يتبَعني فلا يمشي في الظلام بل يكونُ له نورُ الحياة.

تأمل

إنّ دخول الإنسان في وحدة مع الروح لا يتمّ بتقارب جسدي ومكاني. لأنه يستحيل الاتّحاد جسديًّا بالمنزّه عن الجسد، بل يصير بإقصاء وبنبذ الشهوات التي عندما تسيطر على الإنسان تخضعه للجسد فيفقد حينئذٍ الوحدة والصداقة مع الله. وهكذا، إذا تنقت النفس من البشاعة التي التحفت بها بسبب الرذائل، واستردّت جمال صورتها الملكية بالتنقية. وهذا، يجعلها تتقرّب فقط إلى إكمالًا لما قاله الرب قبل هذا المقطع بقليل: «أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إلى فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يَعطَش أبداً» (يوحنا ٦: ٣٥). أكثر من ذلك، الإرتواء من المسيح، أي الإيمان به إيماناً بكامل الكيان، لا يعود إرتواءً ذاتياً وحسب بل «تجري من بطن المؤمن أنهار ماء حي». بلا الإيمان بالمسيح إيماناً كيانياً نحن جافون عقيمون كالصخر وقُساة باردون كالصوان. أما متى أتينا إلى المسيح ليروينا، فالصخر يصبح جداول والصوان ينابيع مياه (مزمور ١١٣: ٨).

الروح القدس في العهد القديم

«إنّ الروح القدس نورٌ وحياةٌ وينبوعٌ حيٌّ عقليٌّ، روحُ حكمةٍ روحُ فهمٍ، صالحٌ مستقيمٌ عقليٌّ رئاسيٌّ مطهّرٌ للهفوات، إلهٌ ومؤلِّهٌ، نارٌ من نارٍ بارزة، متكلِّمٌ فاعلٌ مقسِّمٌ للمواهب؛ الذي به الأنبياءُ كافّةً ورسل الله مع الشهداء تكلّلوا. سمعةٌ مستغرَبة، رؤيةٌ غريبة، نارٌ مقسومةٌ لتوزيع المواهب» (من قطع إينوس عيد العنصرة).

نلاحظ من هذه القطعة، وغيرها من قطع عيد العنصرة أو أيّ نهار آخر أنّ الروح القدس لديه صفاتٌ لا تُحصى، وما هذا إلاّ تعبير بسيط عن الأهميّة التي يتمتّع بها هذا الرّوح الإلهيّ، ليس في العهد الجديد فقط، بل منذ بدء كون العالم. «في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرفّ على وجه المياه» (تك ١: ١-٢).

للروح القدس في العهد القديم عدّة رموز وتسميات وصوَر. أولى هذه الصوَر هي الريح. في اللغة العبريّة لا فرق بين كلمتَي «روح» و«ريح»، وفي كلا الحالين المعنى هو نسمة روح الله المحيية، أي من الممكن أن تكون الآية السابق ذكرها «وكانت نسمة الله ترفّ...». هذا الأمر يجسّده الكاهن في سرّ المعموديّة عندما ينفخ ثلاثًا في وجه الطفل خلال الإستقسامات طاردًا منه أيّ «روح شرّير معشّش في قلبه» ليحلّ مكانه روح الله: «وجبل الربّ الإله آدم ترابًا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسًا حيّةً» (تك ٢: ٧).

صورة ثانية للروح القدس في العهد القديم هي «المسحة» أو «الزيت». نقرأ في سفر صموئيل الأوّل: «فقال الربّ قم امسحه لأن هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته وحلّ روح الربّ على داود من ذلك اليوم فصاعدًا» (١٦: ١٢-١٣). كما نقرأ في سفر إشعياء النبي الكلام الذي قرأه الربّ يسوع في المجمع عند انطلاق بشارته: «روح السيّد الربّ عليّ لأنّ الربّ مسحني لأبشّر المساكين...» (إش ٦١: ١-٣؛ لو ٤: ١٨). نعلم أنّ الزيت في الكتاب المقدّس هو رمز للفرح والبركة، وكان الله عندما يغضب على شعبه يمنع عنهم الزيت أي يحرمهم التعزية. والروح القدس هو «المعزّي». إذًا، ما الزيت الذي يدلّ على التعزية سوى رمز للمعزّي روح الله. تاليًا، عندما كان يُمسَح ملكٌ في إسرائيل، كان يُسكَب على رأسِه زيتٌ، لكي يكون هذا الملك تعزيةً للشعب، وليس أيّ تعزية، إنّما

تعزية إلهيّة. عندما كان الربّ يغضب على شعبه، كان يمنع عنهم التعزية المتمثّلة بأن يكون لهم ملكٌ ممسوح، وكان يُرسِل لهم الأنبياء ليؤدّبوهم. مثلًا «في سنة وفاة عزيّا الملك» (إش ٦: ١) دعا الربّ النبيّ إشعياء لكي يذهب ويخاطب الشعب قائلاً لهم: «إسمعوا سمعًا ولا تفهموا وأبصروا إبصارًا ولا تعرفوا» (إش ٦: ٩). هذا الزيت يستخدمه الكاهن في المعموديّة كختم موهبة الروح القدس، أي الميرون.

النبوءة هي أيضًا من صور الروح القدس. قرأنا في قطعة الإينوس المذكورة في البدء أنّ الأنبياء تكلّلوا بالروح القدس. لم يكن أحد يستطيع أن يتنبّأ في العهد القديم إن لم يكن عليه روح الله. «ويكون بعد ذلك أنّي أسكب روحي على كلّ بشرٍ فيتنبّأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلامًا ويرى شبابُكم رؤى. وعلى العبيد أيضًا وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيّام» (يؤ ٢: ٢٨–٢٩)؛ «فخرج موسى وكلّم الشعب بكلام الربّ وجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالي الخيمة. فنزل الربّ في سحابة وتكلّم معه وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ، فلمّا حلّت عليهم الروح تنبّأوا ولكنّهم لم يزيدوا» (عد ١١: ٢٤–٢٥). النبّي هو مَن ينطق بكلمة الربّ من دون أيّ زيادة أو نقصان، بوحي من الروح القدس، تاليًا كلّ إنسان مسيحي يصبح مشروع نبيّ عندما يعتمد وينال ختم الروح القدس فتصبح مهمّته نقل كلمة الربّ إلى الجميع.

رمزٌ آخر للروح القدس هو الماء. «لأنّي أسكب ماءً على العطشان وسيولًا على اليابسة. أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريّتك» (إش ٤٤: ٣). لهذا السبب نستخدم الماء في المعموديّة، وفي غالبيّة الأعمال التكريسيّة: تكريس أيقونات أو صليب أو أوانٍ مقدّسة أو ملابس كهنوتيّة أو مَنازل أو سيارات... الماء هو عنصرٌ محسوس يجعلنا نشعر بحضور الروح غير المحسوس. الماء أيضًا يعطي الحياة عندما ينسكب في الأرض اليابسة وهذا ما يفعله الروح القدس بالقلوب التي جعلتها الخطيئة تيبس. كذلك، فإنّ المياه الجارية هي صورة للروح القدس الذي يجدّدنا دائمًا، لذلك كانت المعموديّة تتمّ قديمًا في مياه الأنهار الجارية علامةً للتجدّد بالروح القدس.

كلّ ما سبق هو نقطة من بحر ما قيل عن الروح القدس أو رُمز إليه به في العهد القديم. أمّا نحن فلا يسعنا إلاّ أن نهتف بتوبةٍ مع النبيّ داود: «قلبًا نقيًّا أخلق فيّ يا الله وروحًا مستقيمًا جدّد في أحشائي. لا تطرحني من قدّام وجهك وروحك القدّوس لا تنزعه منّي. إمنحني بهجة خلاصك وبروحٍ رئاسيّ اعضدني» (مز ٥٠: ١٠–١٢).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

الروح المعزّي، الذي يكشف لها في ذاته صورة الذي لا يرى، وبهذه المشاهدة السعيدة ترى جمال المثال الأول المعجز البيان.

بالروح القدس ترتفع القلوب إلى العلى، ويتقوى الضعفاء، ويغدو الناقصون كاملين. هو المنير لكلّ مَن تنقى من كل وصمة فيجعلهم روحانيين بالشركة معه ويصبحون حينئذٍ كالكواكب الوضّاءة التي عندما تنعكس عليها الأشعة تضحي منيرة، باعثةً من ذاتها أشعة منيرة. هكذا النفوس التي يحلّ عليها الروح، والتي استضاءت بأشعة نِعَمِهِ تصبح روحانية تفيض بدورها النعمة على الآخرين.

عن هذا تنبثق معرفة المستقبل، وفهم الأسرار، ومعرفة الأشياء الخفيّة، وتوزيع المواهب، والعِشرة السماوية، والبهجة مع الملائكة، والسعادة التي لا تنتهي، والسكنى مع الله، والتشبّه به، ثم التحوّل إليه، «فيصبح الإنسان إلهاً». وهذا هو غاية الأماني.

هذه هي أفكارنا عن الروح القدس، وهي صدى لأبواق الروح، التي علّمتنا مكانة وعظمة وكرامة وعمل الروح القدس.

القديس باسيليوس الكبير